



بطريركية الأقباط الأرثوذكس
مكتبة أسقفية الشباب



الأنبا رافائيل
الأسقف العام



كما أنه لا يمكن أن تتخيل جسداً يعيش بدون رأس هكذا لا يمكن أن تكون الكنيسة بدون المسيح ... فالمسيح للكنيسة هو المعنى والمحتوى والرأس للجسد وبدونه تتحول الكنيسة إلى مؤسسة إنسانية جوفاء ... المسيح للكنيسة هو تاريخها وطقسها وعقيدها وخدمتها ... المسيح هو الكل في الكل، فإذا مارسنا الكنيسة دون أن نكتشف المسيح فيها فباطل هو عناؤنا وباطلة هي ممارستنا ونكون كمن يحرق في المياه.

والمسيح حاضر في الكنيسة على الدوام (عمانويل إلها في وسطنا الآن بمجد أبيه والروح القدس) حسب وعده الصادق "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت 28:20) فإذا اجتمعت الكنيسة يحضر المسيح لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة (الكنيسة) بأسمى فهناك أكون في وسطهم" (مت 18:20)، ولأن الكنيسة هي اجتماع دائم لا ينقطع (جعلنا له شعباً مجتمعاً) حتى ولو لم يظهر هذا دائماً - فالمسيح إذا حاضر في الكنيسة بدون انقطاع. المسيح حاضر يرعى شعبه ويجمعهم كالحملان هوذا السيد الرب بقوة يأتي ويزرعه تحكم له، هوذا أجرته معه وعملته قدومه، كراع يرعى قطيعه بزرعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات" (أش 11:40، 10:11)

والمسيح حاضر أيضاً ليسند جهادنا الضعيف بنعمته القوية وليعطينا حياة من حياته بدمه وجسده .. وفي النهاية وبالإجماع المسيح حاضر فينا يعطي وجودنا معنى وقيمة ولعبادتنا قوة وقبولاً. "لأنكم بدوني لا تفعلوا شيئاً" (يو 15:5) والكنيسة عروس المسيح تعرف سره وتفهم قصده وتميز حضوره وتتفاعل مع هذا الحضور الإلهي وتعبّر عنه في طقسها بطرق متعددة تتناسب مع مستوى هذا الحضور فحضور المسيح في الكنيسة يكون على أربعة مستويات:

- 1- المسيح المحتجب : "حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص" (أش 45:15).
- 2- المسيح المعلم : انتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك" (يو 13:13).
- 3- المسيح الذبيح : "أظهر مرة عند انقضاء الدهور لبيطل الخطية بنبيحة نفسه" (عب 9:26).
- 4- المسيح الراعى : لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية" (رؤ 7:17).





عند اجتماع الكنيسة وحضور المسيح يتقدم الكاهن ليفتح ستر الهيكل معنأً بهذا أن باب السماء مفتوح أمام المؤمنين المجتمعين معاً حول المسيح (إذا ما وقفنا في هيكلك المقدس نحسب كالقيام في السماء)، وإدراكاً منا أن السماء لا تفتح أمامنا إلا بالرحمة إذ هي باب الرحمة لذلك يقول الكاهن فيما يفتح الستر (ارحمنا يا الله الأب ضابط الكل ...) والكاهن هنا يخاطب الأب لأن الهيكل في إيمان كنيستنا هو هيكل الله الأب عمله للابن الوحيد مدشناً بالروح القدس، لذلك نرى هذه العبارة مكتوبة على باب الهياكل الأثرية "السلام لهيكل الله الأب"، ونخاطب العزراء - الهيكل اللحمي - في التسبحة قائلين "السلام للسماء الجديدة التي صنعها الأب وجعلها موضع راحة لأبنة الحبيب". الأب اختارك والروح القدس ظلك والابن تنازل وتجسد منك" وعندما يفتح الكاهن الهيكل يدرك بالإيمان أنه في حالة مواجهة سرية مع المسيح الساكن في الهيكل ما أرهب هذا المكان ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء" (تك 17:8)، "حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم" (تك 16:28)، حينئذ يختر الكاهن ساجداً للمسيح قائلاً (نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أنيت وخلصتنا ثم يقود الكاهن الشعب في تقديم الشكر للمسيح من أجل حضوره في الكنيسة إذ حضوره فينا (سترنا وأعاننا وحفظنا وقبلنا إليه وأشفق علينا وعضدنا وأتى بنا إلى هذه الساعة)

ويتقدم الكاهن ليرفع البخور حول المنبح إعلاناً عن حضور الله - حيث حضوره دائماً مصحوباً بالدخان والاحتجاب - "وأما موسى فأقترب إلى الضباب حيث كان الله" (خر 21:20) "طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه" (صم 10:22)، قال الرب إنه يسكن في الضباب" (1مل 8:12)، "السحاب والضباب حوله" (مز 97:2) وعندما ترتفع حلقات دخان البخور في الهواء ويختفي أبونا في سحابة البخور تدرك الكنيسة حضور المسيح السري فتتهافت في أرباع الناقوس (نسجد للأب والابن والروح القدس ... تعالوا فلنسجد للثالوث القدوس ... عمانوئيل إلها في وسطنا الآن بمجد أبيه والروح القدس) ولأن السحاب في ضمير الكنيسة هو رمز لجماعة القديسين "سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا" (عب 1:12) سيأتي المسيح دائماً وفي مجيئه الثاني معهم وفي وسطهم "وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد" (مر 26:13)، متى "جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين" (مر 38:8).

لذلك فعندما ترتفع سحابة البخور في أجواء الكنيسة ينشد المرتلون (السلام للكنيسة بيت الملائكة السلام للعزراء التي ولدت مخلصنا) ثم تعطى السلام أيضاً لكل صفوف الملائكة والآباء الرسل والشهداء والقديسين (أرباع الناقوس).

هنا الكنيسة في مجد تجليها مع المسيح على جبل الحب هنا الكنيسة المدعوة لمجد المسيح ومجد أبيه والروح القدس.

هذا التجلى الرائع بسبب حضور المسيح فى بيته بين رعيته القديسين وأهل بيت الله (أف 2:19) يدفع الأب الكاهن أن يقف ليستدعى أعضاء الجسد الغائبين عن الحضور معنا ههنا... فينكر أولاً آباءنا واخوتنا الذين رقدوا وتيحوا فى الإيمان بالمسيح منذ البدء (أوشية الراقدين فى العشية) ويتوسل عنهم مكملاً توبتهم طالباً عنهم ولهم الحل والغفران لنكون جميعاً معه دون أن يفقد منا ظلف بل (جميع المسيحيين الأرثوذكسيين الذين فى المسكونة كلها) أما فى رفع بخور باكر فينكر أبونا المرضى والمسافرين إذا أن الليل يذكرنا بانقضاء العمر واليوم الجديد يعطينا رجاء جديداً وفرصة شفاء من أمراض الخطية (النفس والجسد والروح) وفرصة تكميل (غربتنا فى هذا العمر).

وبسبب حضور المسيح تكون الكنيسة قد اجتمعت بأعضائها المنظورين والغائبين بالجسد، فتراها الكنيسة فرصة **هنا** أن تعطى تمجيداً لجماعة القديسين الحاضرين فى وسطنا فترتفع أصوات المرتلين فى سيمفونية هادئة تعبر بالكلام والأنغام عن الحب والفرح والشركة فيما نرتل (الذكصولوجات) للقديسين.

باللوعة والبهاء ... إن الليتورجيا (الصلوات المرتبة) تحقق معنى الكنيسة ووجودها ... إن التطبيق العملى للمفاهيم المدرسية عن لاهوت الكنيسة هو الاشتراك فى ليتورجيتها ... فببساطة؛ اللاهوتى فى كنيستنا هو من يندمج فى الكنيسة ويحيا حياتها.. اللاهوتى هو من يدرك حضور المسيح سرياً فى كنيستته على الدوام يشاركها ويباركها ويقدها ... فليس اللاهوت علوماً تدرس فى الأكليريكية ولكنه حياة نعيشها مع المسيح فى بيته الخاص فى رعية مع القديسين وأهل بيت الله (أف 2:19)



ربى يسوع الحاضر فينا على الدوام
إننى أسف وقلبي يا كلنى لا تنى لم احترم حضورك
بل تعديت وأخطأت وأسأت لمجسك البهي
لم أكن جاهلاً ... بل أنا ضعيف
لست عنيداً ضدك ... ولكنى أحبك
أننى لا ارفض التوبة ... ولكن ميولى رديئة.
ضعفاتي وسقطاتي وتعدياتي تطفئ جذوة الحب والفرح
فأعود إليك بالرجاء .. لن أياأس ولن أتركك ...
فأنت هو حياتنا كلنا وخلصنا كلنا ورجاؤنا كلنا وشفافنا كلنا وقيامتنا كلنا
أنت هو طهارتى وقوتى وفرحتى وثباتى ...

أعلم أن الخطية هى إلحاد لحظى لا تنى بها أعبر عن إيمانى بعدم حضورك ... أو بان حضورك لا يهمنى ... شئ فظيخ جداً ولكنى
أتوب إليك معترفاً بلاهوتك وحضورك وملئك للوجود وأننى بك أحيأ وأتحرك وأوجد
فأقبل توبتى وأغفر لى .. وتفضل استعلن ذاتك فى حياتى ونبه قلبى وضميرى لحضورك فلا أعود أستحل لنفسى الخطأ بل أكون
فيك على الدوام آمين.



ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل. فلما جلس تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلاً (مت 5).
 هذا ما يحدث كل يوم بالكنيسة.. إذ يرى المسيح شعبه المجتمع يصعد إلى الجبل (المنجية - الإنجيل) ويبدأ حديثه العذب معنا ليعزينا ويشجعنا وينهض قلوبنا للتوبة والجهاد المحبوب...
 وإذ تؤمن الكنيسة أن قارئ الإنجيل في القداس هو المسيح نفسه لذلك فهي تعبر عن هذا الإيمان في طقسها المشبع بترتيبات تبرز شخص ربنا يسوع المسيح حاضراً في وسطنا كرب للبيت وأب للأسرة يضم أبناءه تحت جناحيه وهو "يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (مت 7:29).

فبعد الانتهاء من قراءة السنكسار (سير القديسين) كإمتداد للإيراكسيس (أعمال الرسل) يتجلى المسيح المعلم وتراه الكنيسة بعين الإيمان فتستعير تسبيح السمانيين وتهنئ بلحن أجبوس بطريقة الانتيفونيا (المراجعة) "وهذا نادى ناك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض" (أش 6:3)، فيقول الخورس البحرى الربع الأول ثم الخورس القبلى الربع الثانى وهكذا منتشبهين بالسمانيين عند استعلان ربنا يسوع المسيح وأثناء ترتيل لحن (أجبوس) يمك الكاهن الشورية ويرفع البخور كالسما تماماً "وامتلأ البيت دخاناً" (أش 6:4).
 وهنا تعبر سحابة البخور الكثيفة عن حضور ربنا يسوع المسيح كما ذكرنا سابقاً. فيقف الأب الكاهن ليخاطبه قائلاً :
 "أيها السيد الرب يسوع المسيح إلهنا الذي قال لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار. إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتبهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا. وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا وأما أنتم فطوبى لأعينكم لأكما تبصر، ولأذانكم لأكما تسمع" (راجع مت 17، 13:16)
 لقد كان التلاميذ مطوبين لأنهم سمعوا ورأوا رب المجد وما نحن الآن ننال نفس الطوبى لأنه سيحضر ويكلما بشخصه المبارك القدوس.

وتعتبر هذه الصلوة (الأوشية) هى الجزء التأسيسى فى قداس القراءات (الموعوظين) إذ هي المرجع الكتابى الإنجيلى لحقيقة حضور المسيح المعلم فى الكنيسة "طوبى لأعينكم لأكما تبصر ولأذانكم لأكما تسمع" (مت 13:16).
 وقبل أن يعزينا المسيح إلهنا بكلماته المقدسة نتوسل إليه من أجل اخوتنا الغائبين عنا بالجسد (الراقدين والمرضى) الذين سبقوا فرقدوا نرحمهم، المرضى اشفهم" لكى يكونوا حاضرين مع الكنيسة فى حضرة المسيح وهو يعلمنا "لأنك أنت حياتنا كلنا، وخلصنا كلنا، ورجاؤنا كلنا، وشفائنا كلنا، وقيامتنا كلنا"

المزمور:

والمزمور السابق للإنجيل له ثقل لاهوتى وتفسيرى لا يستهان به. إذ يسبق ويشير إلى المسيح بروح النبوة كمثل يوحنا المعمدان، لذلك عندما نسمع الشماس يرتل "ابصلموس تو دافيد" فإنه يعنى "مزمور عن داود" فكلمة داود هنا فى اللغة اليونانية فى حاله (القابل) وليست فى حاله (المضاف إليه) فليس التعبير هو "مزمور لداود" ولكنه "مزمور عن داود" وداود هو الاسم النبوى والشفرى لربنا يسوع المسيح. "بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده فى آخر الأيام" (هو 3:5).

فأخلص غنمى.. وأقيم عليها راعيا واحداً فيرعاهما عبدي داود هو يرعاهما وهو يكون لها راعيا. وأنا الرب أكون لهم إلهاً وعبدي داود رئيساً في وسطهم. أنا الرب تكلمت" (حز 24:22-34).

"وداود عبدي يكون ملكاً عليهم ويكون لجميعهم راع واحد" (حز 24:37)، "وعبدي داود رئيس عليهم إلى الأبد" (حز 25:37)، "يخدمون الرب إلههم وداود ملكهم الذين أقيمهم لهم" (أر 9:30)

واضح طبعاً أن هؤلاء الأنبياء لا يتكلمون عن داود بن يسي إذ أنهم جاءوا بعده بأجيال كثيرة ولكنهم يتكلمون بروح النبوة عن داودنا الجديد ربنا يسوع المسيح.. وكلمة داود بالعبرية هي كلمة ودود بالعربية أي المحبوب وهو لقب للمسيح "لمدح مجد نعمته التي انعم بها علينا في المحبوب" (أفس 1:6).

لذلك نعود فنقول أن المزمور السابق للإنجيل يتحدث دائماً عن ربنا يسوع المسيح بروح النبوة ليبرزه لنا حاضراً في الكنيسة معزياً شعبه بكلمات نعمته المحيية.

والمزمور كذلك يوجه ذهن القارئ إلى ما هو محور القراءات الذي تقصده الكنيسة في ترتيبها للقطمارس

سمعان الكاهن:

بعد الأوشية يصعد الشماس إلى الهيكل ومعه البشارة (الإنجيل).. ويمسك الكاهن البشارة حاسباً أن ما بين يديه هو تجلى لربنا يسوع المعلم فيهدف مع سمعان المبارك: "الآن يا سيد تطلق عبك بسلام حسب قولك لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعدته قدام جميع الشعوب. نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل" (لو 2:29-32).

إن العبارة التي قالها سمعان في الهيكل عندما حمل السيد وهو طفل رضيع.. هي نفسها العبارة التي يرددها الكاهن الآن باعتباره يحمل المسيح فيما يحمل الإنجيل... أليس الإنجيل هو كلمة الله؟! فالمسيح إذاً حاضر في إنجيله.

البخور للإنجيل:

وكلمة الإنجيل تعني الرسالة الحسنة أو البشارة المفرحة لذلك فنحن نؤمن أن المسيح هو إنجيلنا هو الرسالة الحسنة وبشارة الخلاص المفرحة.. فالمسيح هو محور الإنجيل ومركزه ومحتواه وموضوعه.. لذلك عندما يبخر الكاهن للإنجيل قائلاً سرّاً: "اسجدوا لإنجيل يسوع المسيح ابن الله الحي له المجد إلى الأبد" إنما يعنى السجود للمسيح رأساً.. لأن الإنجيل هو المسيح، والمسيح حاضر في الإنجيل (في ضمير وفهم الكنيسة)، بالضبط كما أنه عندما نقبل الصليب أو نسجد له أو نبخر أمامه فإننا نعني بذلك شخص المصلوب.

الاستقبال الملوكي:

كل ما سبق كان تهيئة للحظة المقدسة التي يفتح فيها المخلص فاه ويعلمنا من إنجيله.. لذلك يهتف الشماس منبها الشعب "قفوا بخوف الله لسماع الإنجيل المقدس"

وينحنى الكاهن رافعاً الإنجيل فوق رأسه مردداً: "مبارك الآتي باسم الرب" أنها نفس العبارة التي استقبل بها أطفال أورشليم المسيح.. وأيضاً يرددها الشعب عند تناول من الأسرار المحيية.

إننا بها نستقبل المسيح المعلم الآتي باسم الرب، ويرد الشعب "المجد لك يا رب- نكصاسي كبرى"

وفي مقدمة القراءة يعلن الشماس (أو الكاهن) عن شخص القارئ فيقول "ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح ابن الله الحي له المجد إلى الأبد"، "بين شوييس"...

وهي نفس العبارة التي يرددها الكاهن عند حلول الروح القدس في القديس وتحويل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه.. وهذه العبارة تعلن عن شخصية المسيح على المذبح أو الآن على المنجلية.

إن سر الإنجيل الذي يصلية الكاهن سرّاً أثناء قراءة إنجيل القديس إنما يعبر ببراعة عن إيمان الكنيسة أن المسيح حاضر، وهو يقرأ الإنجيل بنفسه فيبدأ "أيها الطويل الأناة الكثير الرحمة الحقيقي اقبل سؤالاتنا وطلباتنا منا. اقبل ابتهالاتنا منا وتوبتنا واعترافنا على مذبحك المقدس الطاهر السمائي : فلنستحق سماع أناجيلك المقدسة ونحفظ وصاياك وأوامرك ونثمر فيها بمئة وستين وثلاثين..."

هذه الصلاة يتلوها الكاهن ويده الشورية ووجهه نحو المنجية إيماناً منه بحضور المسيح ثم يعقبها بطلبات (أواشي) من أجل المرضى والمسافرين والأهوية والمياه والثمار وخلص الناس والبهائم ومن أجل رئيس الجمهورية والمسجونين والراقدين وأصحاب القرابين والمتضايقين والموعوظين.. نفس الوضع الذي يتبناه الكاهن عندما يرى المسيح حاضراً أمامه على المذبح بعد سر حلول الروح القدس.. وكأنما كلما استعلن المسيح في الكنيسة بهيئته؛ يهتف الكاهن متوسلاً إليه بالطلبات عن الشعب والكنيسة والعالم.. لأن الكاهن المسيحي هو كاهن للخليقة كلها، ومسئول عن رفع طلباتها أمام الله وأن يشفع فيها (الكاهن هو ابريسفتيروس أي شفيع) وأن ينوب عنها في تقديم التسبيح لله. لذلك فكلما سنحت الفرصة له يرفع الأواشي متوسلاً عن الخليقة كلها وهذا هو سر تكرار الأواشي في القديس.. ففي كل مرة يستعلن المسيح يطلب الكاهن منه عن الكنيسة والشعب..

وبعد الانتهاء من قراءة الإنجيل يسجد الشعب والكاهن قائلين المجد لله دائماً.. والمجد لله لأنه حاضر فينا ومتجلى بيننا.. ويدخل الكاهن والشماس إلى الهيكل لكي تبدأ مرحلة جديدة من القديس فيها يتواري المسيح المعلم (يضع الشماس البشارة خلف كرسي الكأس) لكي يظهر المسيح الذبيح (يرفع الكاهن الأبروسفارين)



"قد عرفت أن كل ما يعملهُ الله إنه يكون إلى الأبد" (جا3:14).

هذه سمة أساسية تميز أعمال الله. أنها أعمال أبدية لا تنتهي... فإذا كنا نؤمن - بغير شك - أن المسيح هو الله المتجسد، فأعماله - بلا شك - أعمال إلهية أبدية لا تنتهي... وبالتالي فإن ذبيحة الصليب ذبيحة أبدية لا تنتهي حتى أن الملاك المبشر بالقيامة ذكر أنه "يسوع الناصري المصلوب" (مر16:6)، حتى بعد قيامته... ولا عجب فقد رآه يوحنا الراهب "خروف قائم كأنه مذبح" (رؤ5:6)، ومعلمنا بولس يتكلم مع شعبه في كورنثوس قائلاً "لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً" (اكور2:2).

هذا الصليب الدائم والمستمر والأبدى يتجلى كل يوم على المذبح القدس فنرى يسوع "حماً قائماً كأنه مذبح"...

المسيح ذبيحة حقيقية :

إن كل ذبائح العهد القديم من موسى وما قبل موسى لم تكن إلا رمزاً وإشارة للذبيحة الحقيقية التى قدمها ربنا يسوع بدم نفسه (عب9:12) وقد سبق أن أشارت النبوات إلى هذا الذبيح العظيم "مثل شاة سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذى يجزه هكذا لم يفتح فاه. فى تواضعه انتزع قضاؤه وجيله من يخبر به. لأن حياته تنتزع من الأرض" (أع33:8،32). وعندما تساءل الخصى "عمن يقول النبى هذا. عن نفسه أم عن واحد آخر. ففتح فيلبس فاه وابتدأ من هذا الكتاب فيبشره بيسوع" (أع35:8،34)، إنه الرب يسوع الذى شهد عنه المعمدان قائلاً: "هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم" (يو1:29) والذى تكلم عنه أرميا بروح النبوة: "وأنا كخروف داجن يساق إلى الذبح" (أر11:19)، وذبيحة يترنم بها السمايون "لأنك نبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة" (رؤ5:9)، "مستحق هو الخروف أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة" (رؤ5:12)، ونتغنى بها فى القديس الغريغورى: "أتيت إلى الذبح مثل خروف حتى إلى الصليب"، "احتملت ظلم الأشرار. بذلت ظهرى للسياط. وخذيك أهملتهما للطم. لأجلى يا سيدى لم ترد وجهك عن خذى البصاق"، وقد استعارت الليتورجيا هذا النصوص من نبوة أشعياء القائل: "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشبهه محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا. محتقر فلم نعتد به. ولكن أحراننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسيناها مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كنغم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظلم أما هو فتندل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه... من الضغطة ومن الدينونة أخذ. وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء انه ضرب من أجل ذنب شعبي. وجعل مع الأشرار قيريه ومع غنى عند موته. على انه لم يعمل ظلماً ولم يكن فى فمه غش. أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلنا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع. وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها... لذلك أقسم له بين الأعراء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل انه سكب للموت نفسه وأحصى مع آثمه وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين" (اش2:53-12)، "بذلت ظهرى للضاربين وخذى للناثقين، وجهى لم استر عن العار والبصق" (اش6:50).

عجيب أشعياء هذا المفتوح العينين الذى سبق ورأى يوم ابن الإنسان فتهلل ووصفه كرؤيا العين فحق بذلك أن يكون

النبى الإنجيلي.

"مقدسة ومملوءة مجداً هذه الذبيحة التى ذبحت عن حياة العالم كله" (قسمة الملائكة)، "هكذا بالحقيقة تألم كلمة الله بالجسد وذبح وانحنى بالصليب" (القسمة السريانية).

من هنا نرى أن الرب يسوع المسيح هو ذبيحة حقيقية بشهادة الأنبياء ويوحنا المعمدان ويوحنا الرائي ونصوص الليتورجيا ولكن هل معنى ذلك أننا نذبح المسيح أو نصلبه في كل قداس!!؟

الإفخارستيا ذبيحة غير دموية :

إن الإفخارستيا التي سلمها المسيح لتلاميذه هي امتداد الصليب، ولكنها ليست تكراراً للصليب لأن السيد المسيح قد صلب مرة واحدة لأجلنا "نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عب10:10)، وصلبيه لم ينته بعد ولن ينتهي بل هو فعل أبدي - كما نكرنا.. لذلك فالصليب يحضر كل يوم على المذبح في سر الخبز والخمر اللذين أخذنا قوتهما من قول السيد "هنا هو جسدي، هنا هو دمي". وهنا تكون طبيعة الخبز والخمر صارت بالتقديس والإيمان هي ذات المسيح المنبوح لله دون إقحام الحواس. ودون تغيير في المادة وشكلها وطعمها فنحن نتناول جسد الرب ودمه بالحق تحت أعراض الخبز والخمر "أظهر وجهك على هذا الخبز" (صلاة التقدمة)

وهذا مما يجعل الليتورجيا تلح وتؤكد على أن هذه الذبيحة ليست دموية (كالعهد القديم) ولكنها ذبيحة روحية نطقية عقلية حقيقية "هذه التي ليس دم الناموس حولها ولا بر الجسد لكن الخروف روحى، والسكين نطقية وغير جسمية" (صلاة الصلح باسيلي)، "الذبيحة الناطقة غير الدموية" (صلاة الحجاب)، "هذه الصعيدة المقدسة الناطقة الروحانية غير الدموية" (صلاة صلح كيرلس)، "هذه الذبيحة الناطقة وهذه الخدمة غير الدموية" (القداس الكيرلسي)، "ذبيحة ناطقة سماوية التي هي الجسد الإلهي والدم الكريم اللذان لمسيحك" (القسملة الوجيزة)، "الذي قبل من أيدينا نحن الضعفاء هذه الذبيحة العقلية والحقيقية وغير الدموية".

ولعل هذا هو السر في أن الكنيسة لا تقيم أفخارستيا يوم الجمعة العظيمة لتلا يظن أننا نذبح المسيح مرة أخرى في تذكارات يوم صليبه .. ولكنها تقيم أفخارستيا في نهاية طقس سبت النور لتعلن أن الإفخارستيا امتداد للصليب وليست تكراراً له. والسيد المسيح أمرنا أن "اصنعوا هذا لذكري" (لو19:22)، وقوله : "اصنعوا" هنا يعنى "فعلنا" وليس "فكرنا" للذكري، والمعنى أن نصنع ونفعل ما عمله المسيح في الإفخارستيا على رسم الصليب وما تم فيه، فهنا الإفخارستيا تعنى استحضار فعل الذبح وسفك الدم، ليس لمجرد الذكر أو الذكرى بل الاستحضار الفعلي؛ للاشتراك في ذات السر، فكما أكلنا الإفخارستية وشربنا الكأس المقدسة فنحن نمارس الكسر الحقيقي للجسد، والسفك الحقيقي للدم أى الصليب بكل أسرار الإلهية دون أن نسفك دماً جديداً ودون أن نذبح فصحاً آخر... هذا ما تعنيه الليتورجيا بأن الذبيحة ليست دموية.. فخبز الإفخارستيا فعل وليس فكراً : أكل جسد ممزق مع انه كان في يده خبزاً، وشرب دم مسفوك مع انه خمر في الكأس، فهو إعلان وأستعلان لسر موت الرب الدائم بالإيمان دون الاعتماد على الحواس بالتمزيق والسفك، ومستمرّاً بطول الزمان إلى المنتهى.

المسيح هو الكاهن الذي قدم ذاته :

" هذا الذي أصدت ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا. فإشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة. فتح باب الفردوس ورد آدم إلى رئاسته مرة أخرى.. من قبل صليبه وقيامته المقدسة رد الإنسان مرة أخرى إلى الفردوس" (الأربعاء الخشوعية في ثورة البخور).
" أنت هو ذبيحة المساء الحقيقية الذي أصدت ذاتك من أجل خطايانا على الصليب المكرم كإرادة أبيك الصالح" (سر بخور عشية).

"وسبقت أن تجعل ذاتك حملاً بغير عيب عن حياة العالم" (أوشية التقدمة).

"بذل ذاته فداء عنا إلى الموت الذي تملك علينا" (القداس الباسيلي).

"لأنك في الليلة التي أسلمت فيها ذاتك بإرادتك وسلطانك وحدك" (القداس الغريغوري).

"يا الله الذي اسلم ذاته عنا خلاصاً من أجل خطايانا" (القداس الغريغوري).

"وبذلت ذاتك للذبح من أجل خطايانا، شفيتنا بضرباتك وبرئنا بجراحاتك" (صلاة بعد تناول).

فالمسيح قبل الصليب بإرادته .. بل لقد جاء متجسداً لأجل أن يقدم ذاته ذبيحة عنا "لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم" (يو18:37)، وقال لبيلاطس "لم يكن لك على سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق" (يو19:11)، ولذلك فقد سبق الصليب وأعطانا جسده المكسور ودمه المسفوك ليعلن بذلك أن ما حدث يوم الجمعة سبق وأن قبله بإرادته ونفذه بحريته يوم الخميس. "الحكمة (المسيح) بنت بيتها... ذبحت ذبحها مزجت خمرها. أيضاً رتب ماأدتها... هلموا كلوا

من طعامى واشربوا من الخمر التى مزجتها' (أم 2:9-5)، "دم المسيح الذى يروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب" (عب 9:14)،
"ليبطل الخطية بذبيحة نفسه" (عب 9:26).
فالمسيح إلهنا هو الذبيحة الحقيقية وهو الكاهن الذى قدم ذبيحة نفسه وهو الله قابل الذبيحة ومعطى الغفران بموجبها لكل
من يشترك فيها بالأكل والشرب والإيمان.

المسيح حاضر على المذبح:

" هوذا كائن معنا على هذه المائدة اليوم عمانوئيل إلهنا حمل الله الذى يحمل خطية العالم كله الجالس على عرش مجده
(صلاة القسمة).

ويتجلى المسيح الذبيح عندما يرفع أبونا الإبروسفارين فنرى الخبز الموضوع فى الصينية (حمل الله) ويشهد الشماس فى
لحن (اسبازيستى) " ارفعوا أعينكم ناحية المشرق لتنظروا المذبح. جسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه" ..

ويعلن الأب الكاهن للشعب " الرب معكم" ويطلب منهم " ارفعوا قلوبكم - اشكروا الرب" .. وتصل الليتورجيا إلى قمة
إستعلان حضور المسيح الإفخارستى عند حلول الروح القدس على الخبز والخمر ليحولهما إلى جسد الرب ودمه حينئذ يخلع
الأب البطريرك أو الأسقف تاجه ويترك عصا الرعاية (الحية النحاسية) ولا يعود الكاهن يلفت للوراء أو يرشم الشعب أو
يرشم الذبيحة لأن المسيح رئيس الكهنة الأعظم قد حضر معنا على المائدة المقدسة وهو الذى يقوم بمباركة الشعب وتقدیس
ذبيحة نفسه.

ويتقدم الكاهن الثالثة ليقدم أوأشى للمسيح الذبيح.. إذ - كما شرحنا من قبل - كلما استعلن المسيح فى الكنيسة بهيئة،
يتقدم الكاهن بطلبات (الأوآشى) الشعب واحتياجاته... مرة فى عشية وباكر (المسيح المحتجب) ومرة فى الإجيل (المسيح
المعلم) هنا للمرة الثالثة (المسيح الذبيح).

ومجئ المسيح للكنيسة يستدعى حضور مجمع القديسين معه... لأننا جميعاً - فى السماء وعلى الأرض - أعضاء جسده
المقدس.. فحضوره يستلزم حضور أعضائه... لذلك ينتبه الأب الكاهن ويقدم صلوات عن ومع مجمع القديسين ويطلب
سؤالهم عنا - علامة الشركة والاتحاد والحب مثلاً للثالوث القدوس الواحد فى جوهره.

وفى نهاية المجمع يذكر الأب الكاهن أباعنا وأخوتنا الذين سبقوا فرقدوا وتيحوا فى الإيمان الأرثوذكسى ونحن أيضاً
الغرباء أن نحفظنا فى الإيمان وأن نكمل مثلهم...

ثم يقسم الكاهن الجسد تمهيداً لتوزيعه على المؤمنين.. والقسمة ترمز لآلام المسيح وتمزيق جسده بالصليب لذلك تكون
صلواتها بلحن تذلى بخشوع..

وعندما يغمس أبونا (الأسبديقون) فى الدم المقدس ويرشم به الجسد إما يعن عن جراحات المسيح حيث يضمخ الكاهن
الجراحات بدم المسيح... فيظهر بالحقيقة المسيح إلهنا (حملاً قائماً كأنه مذبح).

سيدى يسوع المذبح عنى... هوذا جراحاتك تنزف ..

ودماؤك تقطر على المذبح.

وها أنا أقف حائراً أمام حبك..

أتمس قطرة من نزيف نعمتك.

قطرة واحدة تطهر أعماقى وكل كيانى..

وتغسل وتبيض ثيابى التى لوثتها بخطيتى ونجاساتى.



"لأنه جعل الأبوة مثل الخراف يبصر المستقيمون ويفرحون"

إن المسيح في الكنيسة كراع يرعى غنمه ويربضها ويعتنى بها "أنا أرعى غنمي واربضها يقول السيد الرب" (حز 34:15) والمسيح في صعوده إلى السموات بعد قيامته كان يقصد أن يجلس عن يمين الأب بناسوته الذي أخذه منا ليمارس به ومن خلاله كهنوتاً أبدياً في السموات حيث يجلس على العرش الإلهي ليرعى كنيسته .. يرهاها بحب واهتمام .. يرهاها بروحه القدس الذي وعدنا أن يرسله إلينا من عند الآب (يو 15:26) ليكون معنا ويمكث فينا (يو 14:16، 17) ويستجلب لنا كل ما لنا من نعمة وعطية ومفاعيل خلاصية "ذاك يمجنني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يو 16:14) .. والروح القدس ينتخب في الكنيسة أناساً يقيمهم خداماً يرعون شعب الله "أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله..." (أع 28:20) وهذه الرعاية التي يقوم بها الأباء ما هي إلا ممارسة كهنوت المسيح في الكنيسة؛ فالمسيح هو الكاهن الأعظم ورئيس الرعاة وأقيم عليها راعياً واحداً فيرعاها عبيد داود (المسيح) هو يرهاها وهو يكون لها راعياً" (حز 34:23) وهو يرعى الكنيسة بنا ومن خلالها؛ لذلك فالكاهن في الكنيسة هو (أب) ومن أجمل تقاليد كنيستنا القبطية أن ننادي الأب الأسقف والكاهن بلقب "أبونا" بل ويقف على قمة الهرم الكنسي شخص محبوب يسمى "البابا" ووظيفته بطريرك أي رئيس الأباء أو بالأولى "أب الأباء" فكل كهنوت كنيستنا هو أبوة روحية غامرة يتلقاها الكاهن في أية درجة من المسيح ويشبع بها بفيض فتشع منه روحاً ينسكب فيغمر الكنيسة بفيض الحب والأبوة والاهتمام والرعاية "التراكم على كل يوم، الاهتمام بجميع الكنائس، من يضعف وأنا لا اضعف، من يعثر وأنا لا ألتهب" (2كو 29:11، 28) هذه هي الأبوة التي تنسكب كأنهار مياه حية من أحضان الثالوث المقدس فتحي العالم عبر الكاهن.



الراعي هو الأب الذي يقبل جميع أولاده - على علاقتهم - ويهتم باحتياجاتهم ويسهر على راحتهم ويحمل همومهم وينوب عنهم كممثل ما عمل أيوب من جهة بنيه وكان لما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل فقدسهم (أبناءه) وبكر في الغد وأصعد محرقات على عددهم

لأنه قال "ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله في قلوبهم وهكذا كان أيوب يفعل كل الأيام" (أى 5:1).

والكاهن في قبوله الجميع لا يجنبهم إلى نفسه بل إلى من يمثله ويخدمه أي المسيح وعندما يقبلهم إنما يرى فيهم المسيح "ما فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم" (مت 25:40) لأن كل من اجتاز المعمودية قد صار بالحق عضواً في جسد المسيح .. والكاهن مستأن على جسد المسيح ليخدمه ومن هنا يصير اهتمام الكاهن بكل عضو في الكنيسة هو اهتمام

بالمسيح .. نعم أن هذا الاهتمام المتسع مؤلم أحياناً كثيرة، ويصلب الكاهن صلباً، ويحرمه من حقه الطبيعي فى الراحة والإجازة، ولكن رغم ذلك فالأب دائماً يفرح بفرح أولاده ونجاحهم وتقدمهم وشبعمهم.

لذلك يعلمنا أبونا قداسة البابا شنودة "إذا تعب الكاهن يستريح الشعب وإذا استراح الكاهن يتعب الشعب". الكاهن يكسر ذاته فى إقدام وصبر وفرح بالآخرين .. وهذا هو صليب المسيح .. والخدمة لا تزيد عن كونها صليب المسيح. أن نخدم الناس يعنى أن نحيا فى محبة الله للناس، ومحبة الله هذه عبر عنها بالصليب "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو:3:16) ... فالكاهن الأب يدخل فى خبرة هذه المحبة المصلوبة لأن هذا هو واقع خدمته .. أنه يقدم حباً بلا حدود لشعب متسع متباين فى فكره وقبوله لخدمة الكاهن .. فقد يقابل حب الكاهن بعدم الاكتراث أو بالرفض ولكنه على كل حال أب .. يظل مجاهداً ومنبهاً ومنذراً ومشجعاً على رجاء، أن يخلص الابن ويقبل إلى الحق .. فالمسيح نفسه "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله" (يو:1:11) ولكنه أكمل سعيه نحو خلاص البشر حتى التمام لأنه أب يحب أولاده...

وكذلك الكاهن "إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم" (يو:15:20)، "ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول اعظم من مرسله" (يو:13:16)...

فالكاهن يحمل نير المسيح وينحني تحت أقدام الأبناء ليغسل قاذوراتهم وهو مترفق بهم "كنا مترفقين فى وسطكم كما تربي المرصعة أولادها هكذا إذ كنا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً لأنكم صرتم محبوبين إلينا. كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ونشجعكم، ونشهدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذى دعاكم إلى ملكوته ومجده" (1تس:2:7-12)، وهذا الحمل لا يسبب تأقفاً للأب، ولا يمثل عبء جهد غير محبوب، بل بالعكس يصرخ مع معلمنا بولس الرسول: "أفرح فى آلامى لأجلكم" (كو:1:24). ففرح الكاهن بعبائه يلزمه بأن يعطى أكثر مما ينتظر الناس منه، ليس آيات ولا أعمالاً باهرة بل أبوة روحية حانية.

خدمة الكاهن هى أن يلد أبناء الله، ويتألم لأجل أبنائه وبسببهم كما يتألم معهم فى نموهم الروحي كأولاد الله، وهو لا يستطيع أن يلد حياة دون بذل حياته، ولكن العجيب والمفرح فى آن واحد أنه لا يبذل حياته هو، بل أن حياة المسيح هى التى تبذل وتتسكب من خلاله، وبقدر ما يبذل الكاهن نفسه حباً بالمسيح تكون الغلبة لحياة المسيح التى تعمل فى أولاد الله وتحبيهم وهو معهم، لحياة أبدية. وبقدر البذل تستعلن الأبوة وحسن الرعاية ويتجلى المسيح الراعى فى شخص الكاهن. رأينا فيما سبق أن المسيح يحضر فى الكنيسة على أربعة مستويات:

(أ) المسيح المحتجب فى رفع بخور عشية وياكر.

(ب) المسيح المعلم فى قداس القراءات.

(ج) المسيح الذبيح فى قداس الأفخارستيا.

(د) المسيح الراعى فى شخص الأب الأسقف والأب الكاهن.

والراعى فى الكنيسة هو أيضاً وسيط وقدوة للرعية ويستمد وساطته وقوته من المسيح الراعى الأعظم.



الوسيط هو من يقف فى الوسط بين فريقين يصل بينهما ويحاول التوفيق بينهما محاولاً إيجاد الوحدة الكاملة بينهما. والفريقان هنا هما الله والإنسان "ليس بيننا مصالح يضع يده على كليتنا" (أى:9:33) ومعروف أن العلاقة الرائعة التى جمعت بين الله والإنسان فى الفردوس قد تشوهت وبترت بسبب السقوط فكان لابد من وسيط يقوم بالمصالحة .. ولم يكن الوسيط إلا ربنا يسوع المسيح "الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع" (1تى:2:6، 5) فالمسيح هو رئيس الكهنة الأعظم (لحن ميغالو) ولكنه منذ البداية قد اختار أناساً ليمارس فيهم وبهم ومن خلالهم كهنوته الخاص ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف" (مت:10:1) "وبعد ذلك عين الرب سبعين

آخرين أيضاً، وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه، إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتي" (لو10:1)، إلا أن مهمتهم لم تنحصر في هذا العالم ولم تقتصر عليه، بل أعطاهم أن يمارسوا كل كهنته، فهم معه حيث هو (يو17:24) ويشتركون في سلطانه (مت18:28-20)، وما يحلونه على الأرض تحله السماء (مت16:19) بل صار المسيح متجلياً فيهم حتى أنه قال لهم "الذى يسمع منكم يسمع منى والذى يرذلكم يرذلنى" (لو10:16)، فالكاهن هو حضور شخصى للمسيح فى الكنيسة - لاحظ أن ألقاب استقبال الأسقف فى الكنيسة هى ألقاب تعلن عن حضور المسيح (أبؤرو، إفلوجيمينوس، اكسارووت) وبهذا المنظور يكون الكاهن وسيطاً بين الله والناس إذ أنه يمثل شخص ربنا يسوع المسيح فهو من جهة متحد بالمسيح ومن جهة أخرى يجمع كل الشعب فى قلبه بالأبوة والحب ليوحدهم بالمسيح .. الكاهن يتم فى أحشائه كل يوم سر اتحاد، حيث يجتمع ما هو إلهى (المسيح فيه) مع ما هو إنسانى (أبوتة لكل الشعب) "مأخوذ من الناس يقام لأجل الناس فيما لله" (عب5:1) "أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غل4:19).

إن هذه المعاتاة اليومية التى يقاسيها الكاهن ما هى إلا علامات أبوته التى بها يحمل هموم الناس وي طرحها تحت قدمى المسيح .. انه يتوب مع كل تائب "عبدك (فلان) وضعفى نحن المنحنيين برؤوسنا أمام وجهك المقدس ارزقنا رحمتك، اقطع عنا كل رباطات خطايانا .. (التحليل الذى يقرأه الكاهن على رأس المعترف) ويصلى عن كل مريض ومسافر ومننقل ... ويطلب عن خلاص العالم والبهائم والزرور والمياه والأرمة واليتيم والغريب والضعيف، ويئن مع الذين فى السجن والمنفى ومع المظلومين والمتألمين ويرفع تهديدات بنى البشر لله أمام المذبح حاملاً عار الناس وخطيتهم متشبهاً بالمسيح الذى منه تستمد كل أبوة وكل قوة.



ليس الكاهن واعظاً ولكنه أب يسلم أولاده روح المسيح، إنه أكثر من أن يكون معلماً أو مرشداً روحياً، بل هو شاهد عيان لانسكاب الروح القدس فى أبنائه، إنه إنسان تتجلى فيه بوضوح روح النبوة فى العهد الجديد - ليس بمعنى من يتنبأ بالمستقبلات، بل من ينبئ بفكر الله وإرادته ويعلمه ويعلمه للناس.

الكاهن فى الكنيسة يقود أولاده نحو المسيح فى مسيرة روحية متدرجة، يتبعون خطواته فيما هو يتبع خطوات المسيح "لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس آباء كثيرون لأنى أنا ولدتك فى المسيح يسوع بالإنجيل فاطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بى" (1كو16:4، 15:4) كما أنا أيضاً بالمسيح" (1كو11:1).

فالحياة الروحية التقوية لا تلقن، ولا يقدر المعلم الروحى إلا أن يساعد على نضجها ونموها، وهذا يكون بحياته وسلوكه التلقائى العفوى التقوى، ويكون بالتفاف الأبناء حوله ليشربوا منه روح التقوى والعفة والوداعة .. "كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الإيمان فى الطهارة" (تى 1).

وروح المسيح هذه تنتقل من جيل إلى جيل خلال الآباء الذين يحملون الوديعة ويسلمونها لأبنائهم بأمانة وتقوى كونوا متمثلين بى معاً أيها الأخوة ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة" (فى3:17) "وأنتم صرتم متمثلين بنا وبالرب .. حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون" (1تس7:1، 6)، "لكى نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا" (2تس3:9)، "وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً" (2تى2:2)، "وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فى فهذا افعلوا" (فى4:9).

هنا - وبسبب الأبوة فى الكنيسة - لم يعد الإيمان نظريات فلسفية تحارب عنها الكنيسة ضد الهرطقة أو مجرد تحديدات قانونية أقرتها الكنيسة فى مجامعها المسكونية، بل هو حياة يعيشها الآباء فيلتقطها منهم الأبناء لينقلوها بدورهم إلى الأحفاد من جيل إلى جيل وإلى دهر الداهرين أمين.

إن سبب نقاوة إيمان أنثاسيوس (تقواد)، وسبب تمسك الأقباط بإيمان أنثاسيوس أنه (أبوهم) ... ولا عجب فأنثاسيوس نفسه شرب روح التقوى من أبيه (أنطونيوس).

لقد عاش الآباء سر الثالث؛ ففهموا كيف تكون الأبوة والبنوة والروح الواحد؛ فصار الثالث المعاش فيهم مصدر روح الأبوة فيهم فالنقط الأبناء روح الثالث وأدركوه لا على مستوى العقل بل على مستوى الخبرة الحية المعاشة فى الكنيسة من خلال وحدة الكنيسة (الله الواحد) وتنوع أعضائها (الله الثالث).

كذلك عاش الآباء سر التجسد فأدركوا كرامة الجسد وقداسة المادة وسلوكوا كما يليق بتجسد الابن الوحيد وحضوره فى العالم وسطنا .. وكان التجسد الإلهى ينبوع تقواهم ونظرتهم المقدسة للجسد والمادة والعالم والكون .. والتقط الأبناء نفس الروح وعاشوها.

والأب الروحى فى قيادته لتلاميذه صاعداً بهم إلى القمم الروحية يأخذهم هويداً، هويداً لنلا يستكدهم بحماس روحى مزيف، فروح الأبوة لا ينتقل من الأب إلى تلاميذه بطريقة فورية، إنما يتطلب نمواً ناضجاً هيناً يصير بعد معاناة وطول أناة "هذا أصله أن تردوا فى المعرفة وفى كل فهم" (فى 1:9) أنه "أنس ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام، اسعى نحو الغرض لأجل جعله دعوة الله العليا فى المسيح يسوع" (فى 14، 13:3). والآباء الأقباط يعرفون أن نقطة الانطلاق لهذا النمو التدريجى الأصيل هى المعمودية ... ففيها أخذنا كل موهبة وكل نعمة نحتاجها على مدى جهادنا الروحى الطويل بطول العمر .. ودور الأب أن يطلق فىنا هذه الطاقات تدريجياً - ويدعمها يومياً بنعمة الأفخارستيا، فيصير الصليب - مترجماً عملياً بالمعمودية والأفخارستيا - ينبوع جهادنا ونمونا منسكباً فىنا من خلال أنامل الأب الروحى. ربي يسوع دعنى أراك وأتلامس معك فى أبوة أبى الكاهن، وفى ذبيحتك الأفخارستية، دع حضورك فى أن يكون دائماً، لا تشبع بك واتدبك، وتصير فى وأنا فىك .. آمين،



الصلوات السرية في القداس تمثل قدس أقداسه، وتحمل في معانيها لاهوتيات عميقة، وتأملات سامية .. فما هي الخطوط الروحية التي تسير فيها هذه الصلوات؟ ولماذا يصليها الكاهن سراً؟ .. فلنبدأ بـ (لماذا) .. ولكي نعرف سرها علينا أولاً أن نعرف من هو الكاهن بالنسبة للكنيسة.

الكاهن في الكنيسة :

الكاهن المسيحي هو امتداد المسيح في الأرض ... هو يد ورجل وعين وفم للمسيح ... المسيح هو رئيس الكهنة الأعظم ويمارس كهنوته السرمدية فينا - الكهنة - وبنا؛ فالكاهن بذلك - يمارس كهنوت المسيح. وبدون المسيح يفقد الكهنوت قوته ومعناه. فالمسيح هو العامل في الكهنوت : في القداس والمعمودية والاعتراف والزيعة .. الخ.

وبما أن المسيح هو الوسيط الوحيد، والشفيع الوحيد بين الآب والناس لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح (2تيمو2:5)، لذلك فالكهنة على الأرض يقومون بالتالي بهذا الدور (الشفاعة)، وكلمة قس باليونانية هي (بريسفيتروس) أي شفيع.

والشعب يرى المسيح في شخص الكاهن، ويتعامل مع المسيح من خلال الكاهن، ولذلك وجبت محبة واحترام الكاهن بصفته ممثل المسيح ووكيل سر الله " (1كو4:1).

والعكس صحيح في أن الكاهن يجب أن يكون بلا لوم، ... صاحباً، عاقلاً، محتشماً، مضيئاً للغرباء صالحاً للتعليم، غير مدمن الخمر، ولاضرب ولا طامع بالربح القبيح بل حليماً غير محاصم ولا محب للمال، يدير بيته حسناً، ... غير حديث الإيمان ... له شهادة حسنة من الذين هم من الخارج". (1تى3:2-7). كل هذه الصفات يجب أن تتوافر في الكاهن لأننا يجب أن نرى المسيح بوضوح في حياة وسلوك وتعليم (أبونا).

وتجلى المسيح في شخص الكاهن واضح جداً في طقس استقبال الأب الأسقف ... فنحن نستقبله بألحان خاصة بالسيد المسيح فنقول مثلاً لحن (اكسماروت) ومعناه بالعربية: "أنت مبارك مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا"، واضح طبعاً أن الكلام موجه للسيد المسيح (لسبب حضور الأب الأسقف)، كذلك نفس الوضع في الألحان الأخرى مثل (ايفلوجمينوس، أبورو، فليرفوه في كنيسة شعبه)،

وكما أن الأب الكاهن هو صورة السيد المسيح وامتداد له، كذلك فهو أيضاً نموذج للشعب ورمز لوحده. بل هو نموذج للبشرية كلها بل وممثل عن الخليقة بأسرها ... لذلك فالكاهن لا يتكلم بلسانه الخاص في الصلوات، ولكنه يتكلم بلسان الكنيسة - البشرية كلها، بل والخليقة أيضاً غير العاقلة ... وكما أننا نرى المسيح في شخص الكاهن فكذلك يرانا المسيح في شخص الكاهن.

الكاهن بذلك هو :

1- صورة المسيح وامتداد لكهنوته في الكنيسة.

2- شفيح في الشعب وقائد له.

3- رمز لوحدة الكنيسة وارتباطها بالرأس المسيح.

4- نموذج للبشرية وممثل لكل الخليقة أمام الله.

هذه الوظائف الكهنوتية الأربعة تتجلى بوضوح في الصلوات السرية التي يصليها الكاهن في القديس، والتي تمثل قدس الأقداس، بل وتمثل العلاقة السرية الباطنية بين الكاهن والمسيح، أو بالأحرى بين الكنيسة، ممثلة في الكاهن، وبين عريسها ورأسها السيد المسيح ...

وهذه الصلوات السرية يمكن أن نصنفها إلى أربعة خطوط فكرية :

(أ) العلاقة الخاصة جداً بالمسيح.

(ب) التوسل للحواس بإخلاص القلب.

(ج) كشف القلب والضمير والنية أمام الله.

(د) إعلان الضعف البشري وعجزنا بدون المسيح.

وهذه الخطوط الفكرية تعبر عنها الصلوات السرية في ثلاثة أنواع من الصلاة.

1- المناجاة والحب. 2- التوسل. 3- التوبة.



الكاهن في القديس لا يكف يتغنى ويناجى ويحب:

(أ) صفات الله والتغنى بها:

وهو التسبيح والتأمل في جمال المسيح واسمه وصفاته، فمثلاً يقول الكاهن في سر بخور عشية: "طيب مسكوب هو اسمك القديس". اسم المسيح "دهن مهراق" يعطر الكنيسة، ويمتلئ البيت من رائحة الطيب" (يو 12:3)، لذلك فعندما يطوف الكاهن الكنيسة بالبخور يذكر اسم الرب الذي يملأ هذا البيت ويقول "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد بأقتنوم واحد. نسجد له ونمجده".

كذلك يتأمل الكاهن في صفة محبوبة في شخص ربنا يسوع المسيح وهي "أيها الطويل الأناة، كثير الرحمة الحقيقي" وهذه الصفة المحبوبة هي سر نعمتنا وترفق الله بنا ... لذلك يتغنى الكاهن بها قبل أن يسرد طلباته في (سر الإنجيل) ليستعطف وجه الله، كذلك يقول "إن كل مجد وكل كرامة وكل سجود كل حين يليق بالثالوث المقدس" وفي آخر كل صلوة تقريباً يقول: "وأنت الذي ينبغي لك التمجيد بصوت واحد من كل أحد والمجد والإكرام والعظمة والسجود... الخ"

(ب) عمل الله الخلاصي من أجلنا :

في ختام كل أوشية يصلى الكاهن سرّاً بالنعمة والرفقات ومحبة البشر اللواتي لابنك الوحيد الجنس، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا الذي من قبله المجد والإكرام والعز والسجود، يليق بك معه مع الروح القدس المحي المساوي لك الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين". وكأننا في الأوشية نوجه طلباتنا لله الأب ثم نشفعها باسم الابن الوحيد وبفعل الروح القدس "إن كل ما طلبتم من الأب باسمي يعطيكم" (يو 16:23).

وهذه الصلوة تعبر عن إيماننا بعمل الثالوث الخلاصي في حياتنا والتي صاغها القديس كيرلس الكبير في عبارته المشهورة "كل شيء من الأب بالابن في الروح القدس"

فالله الأب خلصنا بالابن، وهذا الخلاص ناله بفعل الروح القدس، "ذاك يجدين لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يو 14:16). لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم" (يو 17:3، 16).

وعندما يطوف الكاهن الكنيسة بالبخور يجيء عند موضع (صلوات البصخة) خارج المحلة ويرفع البخور فى الأربعة جهات ويتلو (أرباعاً خشوعية) يمجّد فيها عمل الصليب قائلاً "هذا الذى أصعد ذاته نبيحة مقبولة على الصليب، عن خلاص جنسنا فإشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة.

فتح باب الفردوس ورد آدم إلى رئاسته مرة أخرى.

من قبل صليبه وقيامته المقدسة، رد الإنسان مرة أخرى إلى فردوس النعيم".

وهذه الصلوات تعلن أن المسيح كاهن وذبيحة بأن واحد، وأن نبيحته الكهنوتية فتحت باب الفردوس والقبول أمام الآب وأعطت الإنسان كرامة أعظم من الأولى.

وفى صلاة الحجاب يخاطب الكاهن المسيح سراً قائلاً: "أيها الرب إلهنا الذى خلصنا وأدخلنا إلى هذه الحياة". فهو يتلو هذه الصلوة على باب الهيكل قبل أن يدخل (بعد إنجيل القديس) ليصلى على المذبح "أدخلنا إلى هذه الحياة". هنا شرح للعقيدة مصاغ - كعادة الليتورجيا - فى صورة صلاة... الله خلصنا وأدخلنا الحياة.. ثم يكمل "الذى كون كل شئ بكلمته. وبحكمتك خلقت الإنسان ليكون رئيساً على المخلوقات التى صنعناها من قبلك ويسود العالم بقداسة وبر... الخ" هنا الصلاة تشرح وتعلن قضية الخلاص، وكيف خدم لنا المسيح خلاصنا، وردنا إلى رتبنا الأولى بكرامة ومجد أبهى... عند حلول الروح القدس على الخبز والخمر؛ ليحولهما إلى جسد ودم الرب بالحقيقة، يسجد الكاهن معلناً حضور المسيح الذبيح المخلص بكيانه اللحمى على المذبح؛ ويقول سراً: "ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، يعطى لغفران الخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه"

يالبهجة الكاهن وفرحته بحضور المسيح عريس النفس على المذبح؛ ليخلص كل نفس تتعلق به، وتتقدم بثقة الإيمان لتتناول من جسده ودمه الكريمين، ممجدة بذلك عمله الخلاصى العظيم على الصليب، والمترجم لنا كل يوم فى الإفخارستيا على المذبح. وهناك تعبير آخر يعبر عن عمل المسيح فى النفس الإنسانية نقول فيه "أيها السيد الرب الإله شافى نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا"

هنا الشفاء يقصد به جبر ضعفات الإنسان، سواء من جهة الجسد، أو النفس، أو الضعف الروحية، التى يستغلها الشيطان كثغرات يسقط بها الإنسان فى الخطية... المسيح عندما يتلقى مع النفس يشفى هذه النقاط الضعيفة فلا يعود للشيطان سلطان علينا... فهنا الشفاء هو الخلاص (أوجاى - بالقبطية).

• أيضاً نناجى الله الآب فى صلاة بعد القسمة بالقديس الكيرلسى بقم الكاهن قائلاً: "يا الله الذى أحبنا هكذا وأنعم لنا برتبة البنوة لكى ندعى أولاد الله، ونحن وارثون لك يا الله الآب، وشركاء فى ميراث مسيحك. أمل أذنك.."
• أنها صلوة مستمدة من تأمل يوحنا الحبيب فى رسالته "انظروا أية محبة أعطانا الآب، حتى ندعى أولاد الله 1؟ أيها الأحياء الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكننا نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله؛ لأننا ستره كما هو" (1يو2:3).

• لقد نلنا نعمة البنوة بالمعمودية؛ فصرنا أولاد الله، وبالتالي صار لنا حق الميراث مع المسيح فى ملكوت السموات أحتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الأب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً. ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو 8:15-17).

ونحن فى القديس نمجد الله على عمله الخلاصى هذا الذى به ردنا إلى ملكوته السماوى. "نشكرك أيها السيد المسيح الكلمة الحقيقى الذى من جوهر الآب الطاهر القديس، لأنك أحببتنا هكذا، وبذلك ذاتك للمذبح من أجل خطايانا.. شفينا بضريرتك، وبرتنا بجراحاتك. أنعمت علينا بالحياة من قبل جسديك المقدس ودمك الكريم هذين اللذين جعلتنا مستحقين الآن أن نتناول منهما. من أجل ذلك نشكرك يا الله ونرسل لك الإكرام والمجد... الخ".

واضح هنا المناجاة الرقيقة العميقة التى فيها إحساس الامتنان بعمل الله الخلاصى من أجلنا ومن أجل شفاننا من الفساد والموت.

(ج) الفرح بالمسيح :

بعد صلاة القسمة وفيما نحن مقبلين على تناول، يخاطب الكاهن الله الآب قائلاً : " كملت نعم إحسان إبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. أترفنا بآلامه المخلصة. بشرنا بموته، أمنا بقيامته وكمل السر. نشكرك أيها الرب ضابط الكل؛ لأن رحمتك عظيمة علينا؛ إذ أعددت لنا ما تشتهي الملائكة أن تطلع عليه. نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لكي إذ طهرتنا بك تولفنا "توحدنا" بك؛ لكي نكون مملوئين من روح القدس، وثابتين في إيمانك المستقيم، وممتلئين من شوق محبتك الحقيقية، وننطق بمجدك كل حين". هنا الكاهن يعلن فرحة الكنيسة بكمال احسانات الله إلينا ... وفرحتنا بموهبة الله - جسده ودمه - التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها ... ثم يطلب أن يكمل عمله فينا بأن يوحدنا به بواسطة التناول من جسده ودمه الأقدس.

وبعد التناول وتلذذ النفس بأكل جسد الرب ودمه يقول الكاهن : " فمنا امتلاً فرحاً - طبعاً لأن المسيح في فمنا وفي قلبنا الآن بالتناول - ولساننا تهليلاً - لأننا خلصنا بنعمة المسيح وتطهرنا من خطايانا - من جهة تناولنا من أسرارك غير المائنة يا رب؛ لأن ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر ما أعددت يا الله لمحبي اسمك القدس، هذا أعلنته للأطفال الصغار الذين لبيعتك المقدسة - أي نحن الصغار في الفهم والأطفال في المعرفة والسلوك الروحي - نعم أيها الآب أن هذه هي المسرة التي كانت أمامك؛ لأنك رحيم ونرسل لك الإكرام والمجد .. الخ"

إن الكاهن هنا ينوب عن الكنيسة في إعلان الفرح بالتناول والخلص والاتحاد بالله.

وكذلك في القداس الغريغوري يقول بتعبيرات جميلة أيضاً : " نشكرك يا أبانا القدوس خالق الكل ورازق الجميع، الذي أعطانا من هذا الطعام المقدس غير المائت السرى، الذي فتح لنا طريق الدخول إلى الحياة - أي بالتناول - الذي أراتنا طريق الصعود إلى السموات - بصعود المسيح إلى السموات كسابق من أجلنا وليعد لنا المكان - الذي أنعم على عبيده بكثرة الخيرات. فأنت أيها الرب الصالح محب البشر، أحفظ موهبة نعمتك فينا - التي هي موهبة نعمة التناول من الجسد والدم - لا للدينونة ولا للوقوع في الدينونة - لو أننا تناولنا بدون استحقاق وأعقبنا التناول بالتهاون .. وكان (أبونا) يطلب من الله أن يكون تناولنا للخلص وليس للدينونة - بل لتمتع المجد، واقتناء الحياة، وقيام النفس، وطهارة الجسد، لكي إذ نحيا بك، ونقتاد بك، نكمل البر في كل حين، وأسماك القدوس يتمجد فينا".

وكذلك أيضاً في القداس الكيرلسي هناك صلاة عميقة رائعة تعبر عن الفرحة بالخلص بالتناول من الأسرار الإلهية.

"أية بركة وأي تسبيح وأي شكر، نستطيع أن نكافئك به يا الله محب البشر؛ لأنك فيما نحن مطروحون لحكم الموت، ومغموسون في حفرة خطايانا، أنعمت لنا بالحرية، وأعطيتنا من هذا الطعام غير المائت السماوي، وأظهرت لنا جميعاً هذا السر. هذا المخفي منذ الدهور والأجيال؛ لكي تظهر الآن للرؤساء والسلطين في السماويات، من قبل الكنيسة، حكمتك المتنوعة، يا الله الذي يدير أعمالنا بحكمة وأكثر من الحد الذي نستطيع أن ندركه - ما هذه الرأفة على؟! وما هذا الاهتمام العظيم الذي لأبوتك؟ وما هذه اللجة التي لصلاحك بالحقيقة؟! أنت الذي ينبغي لك كل المجد والعظمة والسلطان إلى أبد الدهور آمين".

أقرأ معي هذه التعبيرات القوية الفيضة : " أنت الذي وضعنا حياتنا عندك يارب، أيها الرب الذي يملأ الكل. أحفظنا في كل موضع نحضر فيه - أي في خروجنا من الكنيسة - والخشوع الذي صار لنا بالصلاة، وطيب القلب في العمر المستقيم، أحفظهما لنا بلا سارق ولا ندم - ما أخذناه في القداس لا يسرقه الشيطان أو العالم أو الاهتمامات بل يدوم فينا - لكي في كل زمان وكل مكان لربوبيتك، ننظر إليك ونسلك فيما يرضيك، وما تهواد، لكي لا نخزي في يوم الحكم الحقيقي. هذا الذي فيه يأخذ كل واحد مجازاة، إذ تقف الملائكة ويدين إبنك الوحيد، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. هذا الذي من قبله المجد"



والكاهن يتوسل في صلاته السرية من أجل أربعة أمور:

- من أجل خلاص الناس وكل الكنيسة.
- من أجل الفهم المقدس.

- من أجل الراقدين.
- من أجل التناول بإستحقاق.

1- خلاص الناس والكنيسة :

فى تذكارات الحمل يذكر الكاهن أفراد الشعب باسمائهم ... ونكر الأسماء يعنى تمييز أعضاء الجسد بشخصياتهم المتباينة المتكاملة ... فنحن فى الجسد الواحد لا نذوب، ولا تضيع شخصياتنا، ولا نفقد تميزنا ... بل نفقد عزلتنا، ونتحد معاً لنكمل معاً جسداً واحداً كاملاً متكاملًا ... "لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامته ملء المسيح" (أف13:4،12) لذلك يذكر الكاهن أبناءه بالاسم "فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها ... والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته...وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى" (يو3:10-14).

ويذكر أبونا بالأخص من قدم الحمل باسمه ومن أجله؛ فيقول : "أذكر يارب عبدك فلان احفظه بملاك السلام، وأغفر جميع خطاياهم، وساعده فى كل عمل صالح". وعن المتنيح يقول: "أذكر يا رب عبدك فلان، أمر له بموضع الراحة والبرودة فى مساكن قديسيك، فى حضن آبائنا القديسين ... الخ". وعن المريض يصلى قائلاً: أذكر يارب عبدك فلان، احفظه وأشفه من أمراضه ... الخ" وهكذا للجميع: من أجل المسافر ومن فى ضيق أو شدة كل واحد له صلاته الخاصة، ثم يذكر المسيحيين عامة والأهل والأقارب خاصة فيقول الكاهن : "أذكر يا رب عبدك المسيحيين الأرثوذكسين. كل واحد باسمه وكل واحدة باسمها .. أذكر يا رب أبى وأمى وأخوتى وأقربائى الجسديين وآبائى الروحيين. الأحياء أحفظهم بملاك السلام والراقدين نيحهم ... وفى آخر الكل يقول : "أذكر يا رب ضعفى أنا المسكين وأغفر لى خطيائى الكثيرة".

هنا الكاهن يلقي بمناعب الناس وهمومهم ومشاكلهم واحتياجاتهم على الحمل الإلهى الذى بين يديه بتوسل لروح من أجل خلاص الناس وراحتهم ونموهم فى معرفة الله. ثم يختم صلواته قائلاً: "أذكر يا رب كل الذين أوصونا وأمرونا أن نذكرهم فى سؤالاتنا وطلباتنا. الرب يذكرهم فى ملكوته السماوى". وذلك أثناء دورة الحمل حول المذبح.

وفى سر الإنجيل يصلى الكاهن أوأشى شبيهة بأوأشى القداى، إعلاناً منه عن حضور المسيح فى الإنجيل، وإنتهاز الفرصة لتتوسل إليه بطلباتنا قائلاً: "... أقبل سؤالاتنا وطلباتنا، أقبل إبتهالنا منا، وتوبتنا، واعترافنا على مذبحك المقدس غير الناس السمائى. فلنستحق سماع أناجيلك المقدسة، ونحفظ وصاياك وأوامرك، ونثمر فيها بمئة وستين وثلاثين بالمسيح يسوع ربنا .." ثم نتوسل من أجل المرضى والمسافرين، والأهوية، والمياه، والثمار، والزرور، ثم من أجل نجات الناس والسواب، وخلص المدينة والعالم، ورئيس الجمهورية، ونيابة للراقدين، وقبول للقرابين، وخلص للذين فى الشدائد والضيقات، وأخيراً يتوسل من أجل الموعوظين.

وفى نهاية القداى يصلى أبونا قائلاً : "عبيدك يا رب هؤلاء الذين يخدمونك ويطلبون اسمك القداى ويخضعون لك. حل فيهم يا رب وسر بينهم. ساعدهم فى كل عمل صالح. انهض قلوبهم من كل فكر ردى أرضى، امنحهم أن يحيوا ويفكروا فيما للأحياء، ويفهموا الذى لك. بابنك الوحيد ... الخ" لاحظ هنا فى هذه الصلاة أن (أبونا) يذكر الشعب كخدام (الذين يخدمونك)، ثم يتوسل من أجل حلول المسيح فيهم، وفى أعمالهم، وفى حياتهم ثم تعبير "امنحهم أن يحيوا" يعبر عن أن الحياة بعيداً عن المسيح هى موت ... حتى أنه يكمل قائلاً "يفكروا فيما للأحياء" أى فكر المسيحيين الروحانيين ... وكل فكر يخالف إرادة الله هو فكر ميت خاطئ شرير لا يليق بأبناء الله الحى.

كذلك فى القداى الغريغورى يصلى الكاهن بعد القسمة بتوسل من أجل الشعب قائلاً : "أذكر يارب عبيدك خدام هذا اليوم - الأكليروس طبعاً وكل الشعب باعتبارهم خدام السر بحضورهم ومشاركتهم وتناولهم - وحالهم وأجعلهم أن يكونوا مستحقين أن يكملوا هذه الخدمة كما يرضيك".

وفى صلاة الحجاب الباسيلى يتوسل الكاهن قائلاً : "أعطنى الحكمة الجالسة عند كرسيك أنت إلهى وضعنا حياتنا عندك يارب".

2- التوسيل من أجل الفهم المقدس:

وهذه النوعية من الصلوات عادة ما تكون أثناء القراءات ... فبينما يقرأ الشماس الرسالة، يقف الكاهن أمام الله يتوسل سراً أن يعطى الرب للناس فهماً وإستيعاباً وتطبيقاً؛ فيقول فى سر البولس: " نسألك أنعم لنا ولشعبك كله بعقل غير مشتغل - أى عقل منجمع فى القراءة - وفهم نقى لكى نعلم ونفهم ما هى منفعة تعاليمك المقدسة التى قرئت علينا الان من قبله (يقصد معلمنا بولس الرسول) " وفى سر الكاثوليكون " نسألك يا سيدنا اجعلنا مستحقين نصيبتهم وميراثهم (أى الرسل)، وأنعم لنا كل حين أن نسلك فى آثارهم ونكون متشبهين بجهادهم ونشترك معهم فى العرق الذى قبلوه على التقوى واحرس ببيتك هذه التى أسستها من قبلهم".

كم تكون كلمة الله قوية، حينما تكون مسبوقة بالأحان، ومقرؤة بالتقوى، ومصحوبة بتوسل لروح، أن ينير الله عقول السامعين، ويلهب قلوبهم بالحب، والشغف لتنفيذ وصيته المقدسة، وحمل نير الإنجيل بقلب جسور مسنود بإيمان لا يهتز، أن الله الذى أعطانا الوصية قادر أن يعيننا على تنفيذها بنعمته..

3- التوسيل من أجل الراقدين:

بالإضافة إلى اوشية الراقدين التى نصلبها يومياً فى العشبية على مدار السنة - فيما عدا البصخة فقط - وكذلك فى رفع بخور باكر السبت دائماً ... نصلى أيضاً الترحيم بعد المجمع، ونطلب من أجل الراقدين فى تذكارات الحمل : "أذكر يارب آباءنا وأخوتنا الذين رقدوا، وكل الذين تنيحوا من كل شعبك، وكل الذين أمرونا أن نذكرهم فى صلواتنا. وبالأكثر عبدك فلان، الذى قدمنا عنه هذه القرابين فى هذا اليوم، فليكن له تذكار صالح على مذبحك المقدس، وأغفر له خطايا وزلاته بسؤلات العذراء ... الخ".

والراقدون فى الكنيسة ليسوا أمواتاً، " ليس موت لعبيدك بل هو انتقال"، ولم تنقطع صلواتنا بهم، بل بالعكس تأصلت وتثبتت بسبب انتقالهم، فهم أعضاء فى الجسد الواحد، ولا تنتهى عضويتهم بانتقالهم بل تثبتت، وهذا هو سر إيماننا بالصلاة عن الراقدين وأيضاً شفاعة القديسين، ولنا عودة فى مقال مستقل عن الشفاعة والتراحم.

4- التوسيل من أجل تناول باستحقاق :

ما هو الاستحقاق للتناول؟ .. وهل إذا تطهر الإنسان، واعترف بكل خطاياها بكل تدقيق .. واحترس قبل التناول، هل هذا يؤهل لالتحاد بالله؟ من هو الإنسان حتى يزكو ومولود المرأة حتى يتبرر، "هوذا قديسوه لا يأتئمنهم والسموات غير طاهرة بعينيه"، فبالحرى مكروه وفساد الإنسان الشارب الإثم كالماء " (أى 15:14-16)، فكيف يتبرر الإنسان عند الله وكيف يزكو مولود المرأة هوذا نفس القمر لا يضىء والكواكب غير نقيه فى عينيه فكم بالحرى الإنسان الرمة وابن آدم الدود " (أى 25:4-6)، لذلك فحن نتوسل إلى الله توسلاً لروحاً من أجل أن يهيننا ويجعلنا مستحقين للتناول.

"اجعلنا أهلاً بغير وقوع فى دينونة أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم، طهارة لأنفسنا، وغفراناً لخطايانا، لكى نكون جسداً واحداً معك، ولك المجد مع أبينا الصالح ... هذا بالإضافة إلى الصلوات الجهرية الكثيرة التى نتوسل فيها أن نتناول باستحقاق وبغير دينونة كما فى صلاة الصلح وفى مقدمة أوامى القديس.

ثالثاً التوبة :

التوبة فى القديس تمثل منهجاً أرثوذكسياً أصيلاً :

(أ) نعلن ضعفنا وعجزنا:

وجهلنا أمام الله، فكثيراً ما نكرر كلمة "نحن الخطاة غير المستحقين"، "اجعلنا أهلاً"، وفى صلاة الاستعداد قبل فرش المذبح، يقول الكاهن : "أيها الرب العارف قلب كل أحد. القدوس المستريح فى قديسيه ... أنت تعلم إنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب لهذه الخدمة المقدسة".

أول خطوة فى التوبة أن نحس بخطيتنا وعجزنا وضعفنا. وأخطر ما فى الحياة الروحية أن نحس بالافتقار والتميز وعدم الاحتياج للتوبة ... لذلك فالكنيسة تلقننا أن نتكلم بكلام التوبة عندما نترأى أمام الله. " أنت دعوتنا نحن الأذلاء غير المستحقين عبيدك - لنكون خداماً لمذبحك المقدس"، "نحن عبيدك الخطاة غير المستحقين نسجد لك بمسرة صلاحك" فى سر حلول الروح القدس.

وأيضاً يقول الأب الكاهن دائماً "أذكر يارب ضعفى وأغفر لى خطاياى الكثيرة"، وفى صلاة الحجاب بالقداس الغريغورى يقول أيضاً: "أيها الرب الإله ضابط الكل عارف أفكار البشر وفاحص القلوب والكلى. إن وأنا غير مستحق دعوتنى إلى خدمتك المقدسة هذه، لا تزلنى ولا تصرف وجهك عنى، بل أمحو جميع سيئاتى، وأغسل عيب جسدى وودنس نفسى، وطهرنى كاملاً. لكى فيما أنا أطلب من صلاحك أن تعطى غفران الخطايا للآخرين، لا أكون أنا نفسى مرفوضاً. نعم يارب لا تردنى ذليلاً مخزياً. أرسل علىّ نعمة روحك القدوس. اجعلنى مستحقاً أن أقف على مذبحك المقدس بغير وقوع فى دينونة، وأقرب لك الذبيحة الناطقة غير الدموية. بسريرة نقية، صفحاً لخطاياى وسيئاتى، وغفراناً لجهالات شعبك، ونيحاً لأبائنا وأخوتنا الذين سبقوا فرقوا، وبنينا لشعبك أجمع". لاحظ معى - صديقى القارئ - كمية التوبة وعمقها وحلاوتها. عندما يقف الكاهن - وهو محسوب فى ضمير الكنيسة أباً ومعلماً وقائداً وشفيعاً - عندما يقف ولديه هذا الكم الهائل من الاتساق والتذلل أمام الله والإتضاع الأصيل، كم يكون فرحة الله ورضاه على هذه الكنيسة المنسحقة "فالقلب المنسحق والمتواضع لا يردله الله" (مز 50:17) أننا نتمثل هنا بالعيشار الذى اقتنى الحياة والتبرير بإتضاعه وإسحاقه، ونستعيد كلمات معلمنا بولس الرسول: "حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً" (1كو 9:27).

(ب) الله هو العامل فينا:

يظن البعض أن التوبة هى مجهود عنيف يبذله الإنسان ليترك الخطية ولا يعود إليها ... ولكن الليتورجيا تشرح لنا أننا فى ضعفنا لا نستطيع أن نتقدم خطوة إلا بعمل نعمة المسيح فينا ... حتى التوبة نفسها "توبى فأتوب لأنك أنت الرب إلهى" (إر 18:31).

"يبارككم الرب برد كل واحد منكم عن شروره" (أع 3:26)، "اشفنى يا رب فاشفى. خلصنى فأخلص لأنك أنت تسيبحتى" (إر 14:17) يا الله أرجعنا وأتر بوجهك فنخلص" (مز 3:8).

الله هو الذى يحفزنا للتوبة، ثم يسندنا ويشجعنا، ويسحق الشيطان تحت أقدامنا، وينهض قلوبنا ... وبالأجمال "الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (فى 2:13).

والبديهي أن عمل الله هنا لا يلقى دور الإنسان، الذى يتلخص فى طلب معونة الله، والاستناد عليه، والتمسك به، والتذلل أمامه حتى يشفق الله علينا، وينزع عنا ميولنا الرديئة، ويعطينا نصره وغلبة وقيام ... وهذا ما تشرحه الليتورجيا فى النصوص التالية: "اسحق رؤوسه(الشيطان) تحت أقدامنا سريعاً. وبدد عنا كل معقولاته (الأفكار التى يبثها فينا) الشريرة المقاومة لنا".

"ردنا يا الله إلى خوفك وشوقك"، "الذين احنوا رؤوسهم تحت يدك (لاحظ هنا أن الشعب منحنين تحت يد الكاهن التى هى بالحقيقة يد المسيح) أرفعهم فى السيرة، زينهم بالفضائل ...

" وهناك عبارة تتكرر كثيراً فى القداس "طهر قلوبنا قدس أنفسنا نقنا من كل الخطايا ... اجعلنا أن نكون أنقياء من كل نتن الخطية ... أقبل ابتها لنا منا وتوبتنا واعترافنا".

وكأننا نقول مع يهوشافاط ملك يهوذا: "ليس فينا قوة ... ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحرك أعيننا" (أخ ...) ويرد علينا عزريا بن عوبيد النبىء: الرب معكم ما كنتم معه. وإن طلبتموه يوجد لكم وإن تركتموه يترككم" (أخ ...).

لذلك يتوسل الأب الكاهن لكى يعمل فينا المسيح وينقينا ويرقينا "أنعم لنا يا سيدنا بعقل وقوة وفهم لنهرب إلى التمام من كل أمر ردى للمضاد .."، "نسألك يا سيدنا لا تردنا إلى خلف؛ إذ نضع أيدينا على هذه الذبيحة المخوفة غير الدموية؛ لأننا لا نتكل على برنا؛ بل على رحمتك، هذه التى بها أحبيبت جنسنا، نسأل ونتضرع إلى صلاحك يا محب البشر أن هذا السر الذى دبرته لنا خلاصاً، لا يكون لنا دينونة، ولكن محواً لخطايانا وغفراناً لتكاسلنا ... (صلاة الحجاب الباسيلى).

هنا تلقننا الكنيسة منهجاً فى التوبة كما تشرح لنا أيضاً مفهومها عن الخطية؛ أنها معقولات شريرة للشيطان، وهى فساد وفتن وجهل، وتكاسل، وأعمال غير نافعة، وأمر ردى للمضاد ...

وكذلك ترسم لنا الكنيسة صورة التوبة؛ إنها عودة إلى الله؛ ليطهرنا ويغسلنا ويحمينا، ويسندنا بنعمته؛ فنخلص "نرجع إليك يا الله الصالح باقترابنا إلى مذبحك المقدس. نسألك أيها الكلمة الذاتى طهرنا فى هذا الوقت الذى نأتى إليك فيه ... فلتبعد عنا مرارة الحسد المملوءة عيباً و تنتن النميمة المردولة ... طهر قلوبنا من كل دنس، وأنفسنا من كل شر، وأجسادنا من كل نجاسة، وأرسل لنا عطية روحك القدوس؛ لكى نأتى إلى مذبحك المقدس... الخ" صلاة الحجاب الغريغورى:

" أنت أيها الرب الذى ترحم كل أحد إذ قد ترأفت على وعلى ضعفى. عرنى من الإنسان العتيق - وأعماله الرديئة وشهوته. وأبعد عنى كل خطية فعلتها، إن كان بارادتى، أو بغير إرادتى. وأجعلنى أهلاً بقلب طاهر وشفقتين نقيتين أن أقدم لك هذه الذبيحة المخوفة ولا تطرحنى (معزولاً) عن عبيدك كعبد للخطية ... أعطنى أن أخدم أسمك القدوس المكرم، بغير سكوت؛ لكى أجد أجره الوكيل الحكيم فى يوم مجازاتك الحقيقية، وليشترك شعبك فى الخيرات الأبدية التى وعدت بها محبيك."

مغبوط هو الإنسان الذى يستند على الله فى توبته، ولا يتوان عن أن يصرخ إليه طالباً عوناً ومعاونته وطارحاً أمامه ضعفه، وشاكياً له ميوله الرديئة، وأنداس نفسه المعيبة.

(ج) التوبة هي عمل الكنيسة كلها:

ليست التوبة حكراً على المبتدئين والأشرار ... بالعكس، هي عمل كل الكنيسة؛ لأن الكاهن، وهو محسوب فى ضمير الكنيسة قائداً ومعلماً ونموذجاً وشفيعاً ... يتقدم بكل تذلل، ويقدم توبة عميقة رائعة فى كل قداس، حاسباً نفسه أقل الناس وأكثرهم خطية ... فكم يكون الوضع لكل أفراد الشعب، وهم يقفون أمام الله يحنون كالأسله رؤوسهم، ويقدمون توبة لذيدة مبهجة لقلب الله، ومنيرة لقلب الكنيسة ... هذا يتكرر فى كل القداس وفى كل قداس ... لأن توبتنا هي قضية عمرنا .. فى كل مراحلها وفى كل مستوياتنا الروحية ... لا يوجد إنسان لا يحتاج للتوبة ... ولا يوجد مستوى روحى أعلى من التوبة، والكنيسة مستشفى تائبين ... وكل من دخل دائرة التوبة، صار فى مجال عمل المسيح، الذى جاء من أجل توبة الخطاة لأنه "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ... لأنى لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (مت) .

ربى يسوع دعنى أقبل قدميك اللتين اعتقناني من طريق الضلالة، وأقدم لك طيباً فائفاً، وأقتنى لي عمراً نقياً بالتوبة

ربى يسوع أشكرك من أجل الكنيسة الرائعة التى ذخرت فيها شرك، واثمنتها على علمك؛ فصارت بالحق عامود

الحق وقاعدته، ومعلمة المسكونة، ومرشدة لكل نفس ...

دعنى أشبع من خيرات دسم نعمتك المذخور فى كنيستك، وليتورجيتها الغنية...

وفى نهاية القسمة ينحني كل الشعب والأكليروس مقدمين توبة عميقة جماعية، ويصلى أبونا التحليل؛ لنتقدم للتناول باستحقاق من جسد الرب ودمه الاقدسين ... وهذه التوبة الجماعية تحول الكنيسة إلى جماعة قديسين (القدسات للقديسين)، ويتقدم الجميع للتناول بفرح وحب وشكر وتسبيح... (فمنا امتلاً فرحاً ولساننا تهليلاً) (سيحوا لله فى جميع قديسيه).. ونخرج من الكنيسة وقد نلنا الخلاص، والغفران، والحياة الأبدية.. وأخذنا الثبات المتبادل فى المسيح..

ربى يسوع المذبح عنى اعطني أن :

اعتبر عذابك كنزى، وإكليل الشوك تنعمى، ومرارتك حلاوتى، ودمك حياتى، اعطني أن اتحد

بك لا تثبت فيك إلى المنتهى، ولتكن أنت معبري إلى المجد والخلود...

لك (الجر أمين)